مقتطفات من كتاب

السر الأعظم

مصطفى محمود

حدوتة كتاب

إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

جاءتنى رسائل كثيرة حول سلسلة مقالات « السر الأعظم » البعض يقول : إنه لم يفهم شيئاً .. والبعض يحذر من شطحات الصوفيين ، والبعض يقول : إنهم أهل شطط وضلال وانحراف ، وينصح برفض التراث الصوفى كله .. والبعض يكتب بتقديس كامل لهؤلاء الناس ويتناول أفعالهم وأقوالهم على أنهم معصومون لا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم ، وينصح بالتسليم الكامل لكل قول وكل فعل يصدر عنهم ويستنكر أنى راجعت بعض أقوالهم وأنكرت عليهم بعض شطحاتهم ، فهم فى نظره أنبياء أو كالأنبياء وكتبهم قرآن وتنزيل .

ونون عند الصوفية هو بحر نور الأزل الذى بدأ منه كل شىء وأول قبضة من هذا البحر كانت النور المحمدى .

ونون كرمز وحرف هو الدواة التى جاءت منها كل الكلمات (كلمات الله التى لا تحصى) ولذلك يذكر القرآن الحرف (ن) مرتبطاً بالقلم .

« نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » (سورة القلم : ١)

فبالمرض عرفت الصحة وبالسواد عرف البياض وبالسفل عرف العلو فكان الجسد بهذا المعنى وسيلة إدراك ومعرفة ومعراج صعود إلى العلو وهذا شرفه .

وهذه الرياضة هى تزكية النفس بمجاهدة الجسد « نار المجاهدة نور المشاهدة » وسنتكلم عن هذه التزكية بتفصيل أكثر فى حينها .

وهذا هو المعراج إلى حضرة الرب وهو حظ النبي والعلماء الوارثين السائرين على قدمه .

ومحمد عليه الصلاة والسلام هو الوسيلة إلى هذا الفضل .

« وابتغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » (سورة المائدة ٣٥)

ولا يعنى هذا امتناع أى كشف بدون الوسيلة المحمدية . فابن عربى يقول إن التصفية الفلسفية والأخلاقية عن غير طريق نبى أو شرع يمكن أن تؤدى إلى حالات كشف (عن طريق الأرواح الملكية) ولكن لا يتجاوز الأمر انتقاش بعض صور الملكوت فى النفس .. وهذا حدُّها .. وهذا ما نراه بين رهبان البوذية واليوجا أو زهاد الصوامع .. أما التصفية الشرعية للنفس على قدم نبى فإنها توصل إلى معرفة الحق تعالى عن طريق روحانى إلهى وميراث محمدى .. والأمر يختلف فى الدرجة والرتبة والمدى .

وفى هذا المقام قال الحلاج :

مازجت روحك روحى　　فى دنوى وبعادى
فكمـا أنت كمـا　　أنـك أنـى ومرادى

وقال قولته الشهيرة . . ما فى الجبة إلا الله .

وهو كلام فيه دعوى اتحاد وحلول وألوهية ووحدة وجود يحظرها الشرع .

ويعتذر الصوفيون للحلاج بأنه كان غائباً عن وعيه فانياً عن نفسه مخطوفاً بصولة الحق سكران بالمشهد الأقدس .

وأياً كان تفسير الصوفيين فقد نزل الحلاج بهذا عن رتبة الكمال والتمكين .

والحقيقة أن التراث الصوفى بحر عميق فيه اللآلئ والأصداف ، ولكن فيه أيضاً التماسيح والحيتان .. فيه جزائر المرجان وفيه المتاهات المهلكة التى لا يعود منها الملاح .

والقراءة فى التصوف أشبه بالملاحة فى بحار الظلمات بقارب شراعى وما أكثر ما تنكسر الدفة ويتحطم المجداف ويفقد السالك اتجاهه .

والنور الوحيد الهادى للسالك فى هذا البحر هو نور الكتاب والسنّة .. وبدون الشريعة لا يمكن أن يصل السالك إلى بر أمان .

وبهذا المعنى يجب أن نقرأ أبيات الصوفى العاشق ابن الفارض التى يخاطب فيها الرسول عليه الصلاة والسلام قائلاً :

إلىَّ رسولاً كنت منى مرسـلا　　وذاتى بآياتى علىَّ استدلت
وكلهم عن سبق معناى دائر　　بدائرتى أو وارد من شريعتى
وإنى وإن كنت ابن آدم صورة　　فلى فيـه معنى شاهـد بأبوتى

فهو يقول فيها أنا الله ، أنا الذى أرسلتك بشريعتى ، أنا الدائرة التى يخرج منها كل شىء ويعود إليها كل شىء . أنا ابن آدم فى الظاهر وأبو آدم وخالقه فى الحقيقة .

وهو كفر صريح . . أو قل هو تهتك المحب الذى تصور أنه عين المحبوب . .

والضلال كل الضلال أن نقرأ هذا الكلام على أنه أدب عرفانى أو تعبير عن حقيقة ، فإنه يكون منتهى سوء الفهم الذى يقلب الإيمان كفراً والهدى ضلالاً .. وإنما هو كلام يقرأ على أنه تهتك ولوثة وحالة من البسط فقد فيها المحب عقله وفقد أدبه .

وهو كلام لا يؤخذ أبداً على ظاهره .

ونقرأ هذا التهتك الصوفى نفسه فى قصيدة لأبى حامد الغزالى فى كتاب معارج القدس .

ولعل هذه القصيدة مدسوسة على الرجل .. ولعلهم نحلوها له ظلماً وتحريفاً .. الله أعلم .

يقول فيها لربه :

وهل أنا إلا انت ذاتاً ووحـــــــدة   وهل أنت إلا نفس عـين هويتى
ملأت جهاتى الست منك فأنت لى   محيط وأيضاً أنت مركز نقطتى
فصرت إذا وجهت وجهى مصليا   فرائض أوقــــاتى فنفسى كعبتى
وحـولى طوافى واجب وخـــلاله   استلامى لركنى فى مناسك حجتى
وذكرى وتسبيحى وحمدى وقربتى   لنفسى وتقديسى وصفو سريرتى
ولو هم منى خاطر بالتفـــاتة   لمـا كان لى إلا إلىَّ تلفــتى

وإن صحت نسبة هذه الأشعار للإمام الغزالى فلا يصح أن نقرأها إلا على أنها تهتك صوفى وخلع للعذار وجنون تام تصور فيه المجذوب من فرط قربه لربه أنه هو والله واحد .

وهم يقولون هى خمر الحب التى أذهلت عقل شاربها وأفنته عن نفسه فأصبح الحق هو الذى ينطق على لسانه .. لا هو ..

يقول الصوفى ابن عطا الله السكندرى :

« إلهى ماذا وَجَدَ مَن فَقَدَك وما الذى فَقَدَ من وَجَدَك . . لقد خاب من رضى دونك بدلاً ، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً . . إلهى كيف تُرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان ، أم كيف يطلب غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان .

ليس إنساناً من لم يتوقف يوماً فى أثناء عمره الطويل ليسأل نفسه . . من أين وإلى أين وما الحكاية ، وماذا بعد الموت . أينتهى كل شىء إلى تراب . . . أيكون عبثاً وهزلا أم أنها قصة سوف تتعدد فصولا . . أكان لنا وجود قبل الميلاد . . وماذا كنت قبل أن أولد . . ومن أنا على التحقيق ، وما حكمة وجودى . . وهل أنا وحدى فى هذه الغربة الوجودية . . أو أن هناك من يرانى ويرعانى ويعتنى بأمرى ؟

إليه فكرة التجلى أن كل مظهر عبارة عن رمز له مستند إلهى ، ومن هنا يقول ابن عربى : أوصيك لا تحتقر أحداً ولا شيئاً من خلق الله فإن الله ما احتقره حين خلقه . . ويكون ابن عربى بذلك من أصحاب وحدة الشهود لا وحدة الوجود .

يقول ابن عربى : لا يمكن أن يصبح العباد أرباباً فى أنفسهم وإن ظهروا بنعوت سيدهم . . فإنك لا تصبح ملكاً بصولجان مستعار . . ثم ما أبعد الفرق بين صولجان وصولجان . . إنما هو اشتراك ألفاظ فافهم ولا تقع فى الخذلان وسوء الأدب .

يقول ابن عربى :

لقد صار قلبى قابلاً كل صورة   فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأصنام وكعبـــــة طائف   وألواح توراة ومصحف قرآن

والسائر معى فى هذا الكتاب سوف يجد المسيرة أشق وأصعب من أى كتاب آخر ، وسوف يكتنفه الغموض ، وقد يبهم عليه الأمر . . وقد يتوقف . . لأننا هذه المرة نحاول النفاذ من أقطار السموات والأرض والخروج من حدود الزمان والمكان لنتحسس المطلق حيث لا تسعفنا العبارة ، وحيث لا نجد الكلمة ، وحيث تتقاصر الحروف عن المعانى (وهذا هو الشأن دائماً فى بحر المعارف الإلهية) ، يقول الإمام أبو العزايم :

إن العبارة لا تفى ببيان المضنون من كلام العارفين . . إنما هى أنوار وإشارات ، والنفس تذوق من المعانى بقدر ما وهبها الله .

والقراءة السليمة للتراث الصوفى هى القراءة الإنتقائية الناقدة التى تزن كل حرف بميزان الشريعة وتعرضه على ضوء السنة والكتاب والعقيدة السليمة التى علمها لنا كتابنا ونبينا عليه الصلاة والسلام لا نجاوزها قيد شعرة ولو دعانا إلى هذا التجاوز إمام الصوفية فى زماننا .

ولهذه المحاذير سوف تظل المعارف الصوفية زاداً للقلة والخاصة من القراء وعلماً مضنوناً به على غير أهله ، وليس علماً مشاعاً للعوام والكثرة ، لأنه علم يحتاج إلى بصيرة لفهمه واستشفافه ولأنه معرفة تحتاج إلى ذوق ومعاناة لإدراكها .

ولمن يقول إنه لا يفهم شيئاً نقول :

لو أحببت كما أحببنا لفهمت كما فهمنا

ونعود فنقول : إن عبارات الصوفية هى فى حقيقتها تذوق لما لا يقال . . فهى تعبر بالإشارة والإيحاء . . فمن وهبه الله الذوق التقط الإشارة . . وترجم العبارة . . ومن حرم الذوق فاتته الإشارة وأبهمت عليه العبارة .

جفت الأقلام ، وطويت الصحف .

وفكرة « التجلى » الإسلامية غير وحدة الوجود الهندية الوثنية .

فوحدة الوجود الوثنية pantheism تقول بوحدة الخالق والمخلوق ، فالقاتل هو عين المقتول ، والرب عين العبد ، والخالق عين المخلوق ، والعارف عين المعروف ، والكل واحد all one .

والله ليس علة العلل (كما يقول أرسطو) بل هو سبحانه يخلق العلل وليس بعلة . . فلو كان علة لارتبط بالمعلولات ولو ارتبط لم يصح له الكمال ، فلا شيء يوجب على الله شيئاً إنما هو يخلق بمحض الجود والرحمة ويفيض على مخلوقاته بمحض الكرم وليس باضطرار الضرورة .

والحق تعالى مريد غير مختار لأن أمره ليس فيه جواز وإنما أمره واحد وإنما الجواز للممكن لأنه قابل للطرفين أما الله فهو أحدى المشيئة .

ويقول ابن عربى عن هيمنة هذه الذات على كل شىء : لو علم العقل أنه معقول وعلم العلم أنه معلوم وأبصر البصر أنه مُبصر لذل الكل تحت القهر وغرق الكل فى هذا البحر .

ويجيب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام على من يسأله كيف رأيت ربك ؟ نور أَنَّى أراه . .

ويصف العارف لحظة كشف الحجاب قائلا :

زُجَّ بى فى النور وأفنانى النور وأفنى كل شىء فما عدت أرى سواه .

ويفسر ابن عربى هذا النور بأنه سبحات العزة المحرقة المسدَلَة دون الحق تبارك وتعالى ، والتى تُفنى الرائى أَنَّى توجه فهى ليست الذات ولا الوجه وإنما اللثام النورانى أو الحجاب النورانى للوجه . . والحجاب الذى انكشف كان الحجاب الظلمانى الدنيوى فما ثم إلا الحجب . . ومطالعة وجه الذات فى الدنيا أمر محال .

يقول الصوفى :

أنتم تأخذون علمكم ميتاً عن ميت ونحن نأخذ علمنا من الحى الذى لا يموت .

ويقول الشيخ أبو مدين :

أطعمونا لحماً طرياً لا تطعمونا القديد

والعالم فى هذا الباب هو من قال إنى جاهل . . أما من يقول إنى عالم فهؤلاء هم الهالكون الذين يقول عنهم القرآن :

« كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » (سورة الروم — ٣٢)

« فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنات فَرِحوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ »

(سورة غافر ـــ ٨٣)

جعلنا الله وإياكم من أهل هذه العلوم فبها وحدها يكون حق اليقين .

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاندرويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)

www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355